فلما دنت ولادة ام ابراهيم عليه السلام خرجت هاربة مخافة ان تلد فلا يقتل فوضعته في
نهر يابس فوجدت في شاطئه سربا فلففته في خرقة ووضعته فيه وسدت بابه عليه
بصخرة مخافة السباع وكانت امه تختلف اليه فترضعه فنظرت اليه ذات يوم فوجدته
يمص من اصبع لبنا ومن اصبع عسلا ومن اصبع تمرا ومن اصبع سمنا وكان اليوم على ابراهيم في تربيته
كالشهر والشهر كالسنة فلما مكث في السرب خمسة عشر قال لامه اخرجيني فاخرجته عشاء فنظر
وتفكر في خلق السموات والارض وقال ان الذي خلقني ورزقني واطعمني وسقاني
لربي الذي خلق هذه المصنوعات بقدرته ما لي اله سواه ثم نظر الى السماء فراى كوكبا فقال
هذا ربي ثم اتبعه بصره ينظر اليه ثم غاب فلما افل قال لا احب الافلين الى ان قال اني وجهت وجهي
للذي فطر السموات والارض قوله ذكر اسم الاشارة حيث لم يقل هذه ربي مع كونها اشارة الى الشمس
وهو مؤنث سماعي على ان المؤنث اذا اخبر عنها بما ليس فيه تانيث يعامل معها معاملة المذكر لكونهما
عبارة عن شيء واحد وصيانة للرب عن شبهة التانيث فانه لو انث ما اشير به الى ما يخبر عنه
بانه رب لاوهم كون ربه تعالى مؤنثا بناء على اتحاد المسند والمسند اليه بالذات قوله
اكبر حيث قال هذا اكبر الكواكب جرما واكثرها قوة وتاثيرا فكان اولى بان يدعي كونها الها
استدلالا لا على ربوبيته والهيته والشبهة قومه المشركين قوله وانما احتج بالافول دون البزوغ الذي
هو الابتداء في الطلوع مع انه يفضي ايضا ان كل واحد من الافول والبزوغ لدلالته على التغير
والانتقال من حال الى حال يصلح دليلا على الحدوث فلم احتج عليه السلام على حدوثها بالافول دون
الطلوع والبزوغ مع ان كل واحد منهما يصلح دليلا عليه اجاب عنه بوجهين الاول ان الافول
اظهر دلالة على الحدوث من حيث انه يدل عليه من وجهين من حيث انه حركة ومن حيث انه غيبة واختفاء
يترتب عليه ذهاب اثره ونوره ومن كان الها يجب ان ينعكس عنه نور الوجود الى جميع الموجودات ابتداء وبقاء
لا يجوز ان يغيب عنه طرفة عين فلا يجوز الافول في حقه والثاني ان الاحتجاج بالبزوغ
انما يكون على تقدير ان لا يكون الكوكب بازغا حين مجادلة الاستدلال ويحتمل ان لا يكون الامر كذلك بان يكون
الكوكب بازغا حين قصده وبلغ وسط السماء حال الاحتجاج والمباحثة فيغيب في اثناء الاستدلال فلا يتصور الاحتجاج
بالبزوغ ويتعين الاحتجاج بالافول قوله وحاصره في التوحيد بمعنى انه عليه السلام لما احتج على فساد مذهبهم

بنوع ما اتخذوه الها اوردوا عليه حججا على صحة طريقتهم مثل ان تمسكوا بالتقليد بان قالوا
انا وجدنا اباءنا على امة وانا على اثارهم مهتدون ومثل قولهم اجعل الالهة الها واحدا ان
هذا لشيء عجاب ومثل انهم خوفوه بانك لما طعنت في الوهية هذه الاصنام وقعت خرجتها
في الافات والبليات كما حكى الله تعالى عن قوم هود عليه السلام انهم قالوا له ان نقول الا اعتراك
بعض الهتنا بسوء فذكروا له من هذا القبيل الاباطيل فاجاب عليه السلام عن حججهم بقوله اتحاجوني
في الله قوله اتحاجوني بنون ثقيلة اصله اتحاجونني بنونين اولاهما نون الرفع في الامثلة الخمسة
والثانية نون الوقاية فاستثقل اجتماعهما فادغمت الاولى في الثانية وقرا نافع وابن عامر
بنون خفيفة مكسورة بحذف احدى النونين وكلاهما لغة عند اجتماعهما فقيل المحذوفة هي
الاولى وقيل الثانية فقول المصنف بتخفيف النون فيه لطيفة حيث اشار به الى معنيين
احدهما حذف احدى النونين تخفيفا وثانيهما عدم تشديد النون الملفوظة قوله تعالى وقد
هدان حال من الياء التي في اتحاجوني اي اتجادلونني فيه حال كوني مهديا من عنده تعالى
او حال من اسم الله اي كونه تعالى هاديا لي وقوله تعالى ولا اخاف ما تشركون به الظاهر انه جواب لما
اخبر عليه السلام انه لا يخاف ما يشركون بالله ثقة برحمته التي وسعت كل شيء وكانوا خوفوه
عليه السلام من ضرر يحصل له من جهة الهتهم بسبب ذمه وسبه اياها فلذلك قال الا ان منهم
وقوله لا اخاف معبودكم في وقت اشارة الى ان الاستثناء في قوله الا ان يشاء ربي متصل
من اعم الازمنة وان الاستثناء مفرغ والمستثنى منه مقدر والتقدير لا اخاف معبودكم في وقت
من الاوقات الا وقت مشيئة ربي شيئا يخاف منه فان المصدر قد يقوم مقام الوقت
نحو اتيتك خفوق النجم ولما جاز ذلك في المصدر الصريح جاز في المصدر المأول نحو الا ان يشاء
الله قوله ان يصيبني بمكروه اشارة الى ان شيئا مفعول به لقوله يشاء ففسر شيئا به
ليعلم انه مفعول به ويحتمل ان يكون شيئا مفعولا مطلقا ليشاء والتقدير الا ان يشاء ربي
شيئا من المشيئة بل هو اولى من جعله مفعولا به لان الكلام المؤكد اقوى واثبت في النفس من غير المؤكد
لان مفعول المشيئة والارادة لا يذكر الا اذا كان فيه غرابة كما في قوله فلو شئت ان ابكي دما

Copyright © King Saud University

Created with PDFsharp 1.2.1269-g (www.pdfsharp.com)